

كنيسة السيِّدة العذراء مريم بحارة زويلة  
شعب الكنيسة  
السَّبْت ١٨ يونية ٢٠١٦ م

## العذراء مريم في بعض النُصوص الليتورجية وعند بعض آباء الكنيسة

الرَّاهب أناسيوس المقاري

### أولاً: في النُصوص الليتورجية للقدَّاس الإلهي والتَّسبحة

#### نُصلي قائلين:

- أعنِّي يا ربِّي يسوع الرُّوف، لأمجِّد سيِّدتي أمك العروس، لأنَّها بالحقيقة قد تعالت جدًّا، هذه العذراء المفعمة كرامة ...
- كلُّ الأفراح تليق بك يا والدة الإله، لأنه من قبلك رجع آدم إلى الفردوس، ونالت حواء الزينة عوض حزنها، وأخذت الحريرة دُفعةً أُخرى من أجلك، والخلاص الدَّهري<sup>(١)</sup>.
- افرحي يا ممتلئة نعمة ... افرحي يا رجاء خلاص كلِّ المسكونة.
- لبست الفرح والتَّهليل، وتمنطقت بالقوَّة يا ابنة صهيون.
- افرحي يا مريم، العبدة والأم ... ليس لنا دالَّة عند ربِّنا يسوع المسيح، سوى طلباتك وشفاعاتك، يا سيِّدتنا كلِّنا، السيِّدة والدة الإله.
- الأب تطلَّع من السَّماء، فلم يجد من يُشبهك، أرسل ابنه وحيدته، أتى وتجنَّد منك.
- الأب صنَّعك، والرُّوح القدس حلَّ عليك، وقوَّة العلي ظللتك يا مريم.
- ولدت الكلمة بغير زرع بشر، وبتوليتك بغير فساد.
- حملت الكلمة غير الخوى، وبعدها ولدته بقيت عذراء. فبتسايح وبركات نعظُّمك.
- عمانوئيل الذي ولدته، هو حفظك بغير فساد وبتوليتك محتومة.
- هو شمس البر، ولدته بغير دنس، وشفاننا من خطايانا.
- السَّلام لتي أعطت الخلاص لآدم وحواء.
- كلُّ الأسماء العالية، التي لغير المتجنِّدين، لم يبلغوا إلى علو طوباويتك.
- مرتفعة أنت جدًّا، أكثر من الشَّاروبيم، ومكرِّمة أكثر من السَّرافيم.
- بقية أيامنا، نمدحك أيتها المفعمة مجدًّا، أنت مشتملة بالطَّهارة.
- كلُّ التَّسايح التي في جميع النَّاموس، ليس فيها شيء يشبهك.

١ - هذه القطعة السَّابق ذكرها مباشرة في مديح القيامة، أو في قانون القيامة، تنفرد بها الليتورجيا القبطية، لأنَّها غير موجودة في الكنيسة اليونانية التي تعرف هي أيضاً هذا المديح.

ومخاطبة العذراء بالنداء "افرحي" هو تقليد قبطي أصيل، نجد مثلاً له في الشَّيرات الأولى والثَّانية من تيُّطوكية يوم السَّبْت، حيث نقول: **Жере внемиев нѣмют** "افرحي يا ممتلئة نعمة ..."، والتي تُترجم أحياناً إلى "السَّلام لك أيتها الممتلئة نعمة"، حيث يتكرَّر هذا النداء في الشَّيرات: "افرحي يا رجاء خلاص كلِّ المسكونة". وفي تيُّطوكية الأحد نقول: "لبست الفرح والتَّهليل، وتمنطقت بالقوَّة يا ابنة صهيون".

فالكلمة القبطية **Жере** (شيري) تحمل معنى "الفرح" أو "السَّلام". أمَّا كلمة **Фрауи** (إفراشي) فتعني "الفرح" فقط.

## ألقاب العذراء مريم المرتبطة بانبتها الإلهي

- القديسة المملوءة مجدداً العذراء كل حين، **والدة الإله** القديسة الطاهرة مريم، التي ولدت الله الكلمة بالحقيقة.
- مقدسة ومملوءة مجدداً، **والدة الإله** الطاهرة، القديسة مريم العذراء. آمين هليلويا.
- مريم الحمامة الحسنة. مريم **والدة الإله**. مريم **أم يسوع المسيح**.
- فلمنجدك **ككنز القيامة**. السلام للكنز المختوم، الذي تملأنا بالحياة من قبله. السلام للتي ولدت لنا المسيح، وأعطانا الحياة من قبل قيامته<sup>(١)</sup>.
- هذه **الجمرة الذهب النقي**، الحاملة العنبر، التي في يدي هارون الكاهن، يرفع بخوراً على المذبح. الجمرة الذهب هي العذراء، وعنبرها هو مخلصنا، ولدته وخلصنا وغفر لنا خطايانا.
- حينئذ بالحقيقة لا أغلط في شيء إذا ما دعوتك **الجمرة الذهب**.
- أنت هي **المنارة الذهب النقي**، الحاملة المصباح المتقد في كل حين، الذي هو نور العالم غير المقترَب إليه، الذي من الثور غير المقترَب إليه.
- كل المساواة التي في العلاء، لم تقدر أن تشبهك أيها **المنارة الذهب الحاملة الثور الحقيقي**.
- **القسط المكرم**، والمنارة، والجمرة النقية، المملوءة بركة.
- أنت **باب السماء**، و**الفردوس الرحب**، و**السحابة** التي ركب عليها الثور الحقيقي.
- هذه هي **أورشليم** مدينة إلهنا، **مركبة الكارويم** ذات الأنواع الكثيرة. أنت هي **القبة** التي صنعها موسى بعظم كرامة، و**التابوت**.
- من قبل مريم ابنة يواقيم، عرفنا **الذبيحة الحقيقية** لمغفرة الخطايا.

## سر التجسد الإلهي من أم بتول

- الواحد وحده، الكلمة، المولود قبل كل الدهور بالألهوت بغير جسد من الآب وحده، هو ذاته أيضاً وُلد جسدياً بغير تغيير ولا تحوُّل من أمّه وحدها. وأيضاً بعد أن ولدته لم يحل بتوليئتها، وبهذا أظهرها بأنها والدة الإله.
- الذي وُلد كإله بغير ألم من الآب، وُلد أيضاً حسب الجسد، بغير ألم من العذراء.
- كل عجيبة البشرية أعطتها (أي العذراء) بالكمال لله الخالق وكلمة الآب، هذا الذي تجسّد منها بغير تغيير، ولدته كإنسان ودعي اسمه عمانوئيل.
- هذا هو الجسد الذي أخذه (المسيح) من سيدتنا وملكتنا كلنا، القديسة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته.
- وبعد أن صار إنساناً، هو الإله أيضاً، فلماذا ولدته وهي عذراء.
- الحشا البتولي غير الدنس، ولدته وهي عذراء، وبتوليئتها محتومة.
- أشرق جسدياً من العذراء، بغير زرع بشر، حتى خلصنا.
- غير المنظور، غير المحدود، ولدته مريم وهي عذراء.
- يا للطلقات الإلهية العجيبة التي لوالدة الإله مريم، العذراء كل حين. هذه التي اجتمع معاً بتوليئة بلا دنس وميلاد حقيقي. لأنه لم يسبق الميلاد زواج، ولم يحل الميلاد بتوليئتها.

## حول شفاعة العذراء مريم وصلاتها لأجلنا

- بصلوات وشفاعات ذات كل قداسة، المجددة الطاهرة المباركة، سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم.
- بالسؤلات التي تصنعها عنّا كل حين، والدة الإله القديسة الطاهرة مريم.
- وهنا أودُّ أن أوضح، أنه ليس هناك فرق بين أن نقول بشفاعة العذراء مريم، أو بصلاة العذراء مريم، وذلك من

الوجهة اللغوية. ذلك لأن الشفاعة *προσβεία* (بريسفياً) في النصوص الكتابية، تعني - ضمن ما تعني - "سفارة"<sup>(١)</sup>. وتعني عند آباء الكنيسة أيضاً: ترفع وسؤال واسترحام<sup>(٢)</sup>.

هذا من الوجهة اللغوية. أمّا من الوجهة الليتورجية، فقد فرقت الكنيسة بين الطلبة والشفاعة، وكأنه الفرق بين الضراعة والمفاوضة. وجدير بالذكر هنا، أنه حتى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، اختصت الكنيسة القبطية، السيدة العذراء مريم وحدها بالشفاعة، دوناً عن بقية رؤساء الملائكة، وكافة الطغمت السّمائية، ويوحنا المعمدان. لأننا حتى اليوم نخاطب العذراء قائلين: "كلّ الأسماء العالمة، التي لغير المتجسّدين، لم يبلغوا إلى علو طوباويتك". وأيضاً: "مرتفعة أنت جدّاً، أكثر من الشاروبيم، ومكرّمة أكثر من السّرافيم". ولكن بعد القرن الخامس عشر الميلادي، أصبحنا نطلب شفاعة هؤلاء مع السيدة العذراء.

### ألقاب العذراء في الثيوطوكيات والذكصولوجيات مرتبة أبجدياً

- (أ) ابنة الملك داود. أم ابن الله. أم الحبيب. أم السيد. أم القدوس. أم المتأّس. أم المسيح. أم الثور المكرّمة. أم جميع الأحياء. أم عمانوئيل. إناء الإيمان الأرثوذكسي. الإناء المختار لكل المسكونة.
- (ب) باب المشارق. بستان العطر.
- (ت) الثابوت المصفّح بالذهب. تهلل الملائكة.
- (ث) ثبات طهرنا.
- (ج) جنس وأصل داود.
- (ح) حاملة المصباح. حاملة الثور الحقيقي. الحجر الكريم. الحقل الذي لم يُزرع وأخرج ثمرة حياة. الحكيمة. الحمامة الحسنة.
- (خ) الخدر الطاهر.
- (ر) رأس خلاصنا. رجاء خلاص كل المسكونة. رفعة الصديقين.
- (ز) زهرة البخور المقدّسة.
- (س) السّحابة الخفيفة التي دلّتنا على مطر استعلان الإله الوحيد. السّماء الثانية الكائنة على الأرض. السّماء الجديدة التي على الأرض. سيّدتنا كلنا. سيّدي.
- (ش) الشّفيعة الأمانة أمام ربّنا يسوع المسيح. شفيعة نفوسنا.
- (ص) الصّديقة. الصّنارة العقلية.
- (ط) الطاهرة.
- (ع) العبدّة والأُم. العرش الملكي المحمول على الشاروبيم. العروس الطاهرة. عصا هارون التي أزهرت بغير غرس ولا سقى. العفيفة. العليقة النّفسائية. العنبر المختار\*.
- (غ) غُصن الطهارة. الغطاء المظلل عليه الكارويين. غير الدنسة.
- (ف) فخر البتولية. فخر جميع العذارى. فخر جنسنا. الفردوس النّاطق.
- (ق) القبة الثانية التي للأقداس. القبة الحقيقية التي داخلها الله. القبة غير المصنوعة بالأيدي. القديسة كلّ حين. قسط الذهب النّقي. قضيب الإيمان.
- (ك) كرازة الأنبياء. كنز البر. الكنز الذي اشتراه يوسف فوجد الجوهر مخفياً في وسطه. الكنز الرّوحي\*.
- (ل) اللّامعة أكثر من الشاروبيم.
- (م) المائدة الرّوحية. المباركة في النّساء. الجمرّة الذهب النّقي. المدينة المقدّسة التي للملك العظيم. المرتفعة أكثر

- من رؤساء الآباء. مريم العذراء. المزيّنة بكلّ كرامة. مسكن الصّديقين. مسكن جميع الفرحين. مسكن  
حكمة الله. المشتملة بمجد ربّ الجنود. المصباح غير المطفأ. المضيئة أكثر من الشّمس. معمل الاتحاد غير  
المفترق. المكرّمة أفضل من الأنبياء. الملكة الحقيقيّة. الممتلئة نعمة. المنارة الذهب. المنارة النّقيّة.  
(ن) ناحية المشارق التي ينتظرها الأبرار.  
(هـ) هيكل الواحد من الثّالوث. الهيكل غير المنقض.  
(و) والدة الإله. والدة السيّد.  
(ي) اليمامة العقليّة\*. اليمامة النّقيّة\*. ينبوع ماء الحياة التي نبتت لنا منه نعمة اللاّهوت. ينبوع ماء الحياة المقدّس.

### ثانياً: العذراء مريم في بعض أقوال آباء الكنيسة

يقول القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، في مقارنة بين العذراء مريم وبين حواء:  
[لقد جاء الربّ إلى خاصته ظاهراً، وصارت خليقته الخاصة تحمله، مع أنّها هي نفسها محمولة منه. والمخالفة  
التي صارت بالشّجرة ردها بالطّاعة التي (أكملها) على الخشبة (الصليب)، والغواية التي أُغويت بها العذراء حواء  
رديئاً، وهي تحت طاعة رَجُل (آدم)؛ قد انحلت بالحق الذي بُشّرت به العذراء مريم حسناً بواسطة الملاك، وهي  
أيضاً تحت طاعة رَجُل (يوسف). فكما أنّ تلك (حواء) أُغويت بكلمة الملاك (السّاقط) لكي تحيد عن الله  
وتخالف كلمته، هكذا أيضاً هذه (مريم) بُشّرت بكلمة الملاك لكي تحمل الله بعد أن أطاعت كلمته. وكما أنّ  
تلك (حواء) أُغويت بعصيان الله، هكذا هذه (مريم) اقتنعت أن تُطيع الله، لكي تصير العذراء مريم محامية عن  
العذراء حواء. وكما أنّ الجنس البشري صار مقيداً بالموت بواسطة عذراء (حواء)، هكذا قد انحلت أيضاً بواسطة  
عذراء (مريم)] (ضدّ الهرطقات ٥: ١٩: ١).

يقول البابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):  
[لأنّ (الله) لم يفكر في مجرد التّجسّد، أو مجرد الظهور<sup>(٤)</sup>، وإلّا فلو أنه أراد مجرد الظهور، لاستطاع  
أن يتمّم ظهوره الإلهي بطريقة أسمى وأفضل. ولكنّه أخذ جسداً من جنسنا، وليس ذلك فحسب، بل  
من عذراء طاهرة بلا لوم، لم تعرف رجلاً، جسداً طاهراً وحالياً بالحق من زرع بشر. لأنّه، وهو  
القادر على كلّ شيء، وبارئ كلّ شيء، أعد الجسد في العذراء كهيكل له، وجعله جسده بالذات،  
واتخذ أداة له، وفيه أعلن ذاته، وفيه حلّ] (تجسّد الكلمة ٨: ٣).

[فإنّه وهو نازلٌ إلينا، صوّر لنفسه جسداً من عذراء، لكي يقدّم للجميع بُرهاناً قوياً على لاهوته،  
باعتبار أنّ من صوّر هذا الجسد هو أيضاً مكوّن سائر الأشياء. لأنّه من ذا الذي يرى جسداً يخرج من  
عذراء وحدها بدون رَجُل، ولا يدرك أنّ من ظهر فيه لا بد أن يكون صانع ورب باقي الأجساد أيضاً]  
(تجسّد الكلمة ١٨: ٥).

[فاليهود يوبّخون على عدم إيمانهم من نفس كتبهم التي يقرأونها. فهذه الآية أو تلك أو بالإجمال  
كلّ الكتاب الموحى به، يُطلق الصّوت عالياً، منادياً بتلك الحقائق، كما تُبيّن كلماته الصّريحة مراراً  
كثيرة. لأنّ الأنبياء أذاعوا مقدّماً عجيباً العذراء وولادتها قائلين: «هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو  
اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا»<sup>(٥)</sup>] (تجسّد الكلمة ٣٣: ٣).

(٤) أنظر فصل ٤٣ : ٧.

(٥) متى ١ : ٢٣ ، إشعياء ٧ : ١٤ .

[كلُّ الكتاب المقدَّس مشحون بالحجج التي تدحض عدم إيمان اليهود. لأنه من من الأبرار والأنبياء القدَّيسين والآباء البطارقة الأوَّلين، المدوَّنة أسماؤهم في الكُتُب الإلهيَّة، وُلد جسدياً من عذراء فقط؟ أو آيَّة امرأة كانت كافية، لحمل إنسان بشري بدون رَجُل؟] (تجسُّد الكلمة ٣٥:٧).

[من هو إذاً هذا الذي تتحدَّث عنه هكذا الكُتُب الإلهيَّة؟ أو من هو ذلك العظيم بهذا المقدار، حتى يتنبأ عنه الأنبياء بهذه التنبؤات العظيمة؟ لن يوجد أحدٌ آخر في الكُتُب، إلاَّ مُخلَّص الجميع، كلمةُ الله، ربُّنا يسوع المسيح، لأنه هو الذي وُلد من عذراء، وظهر كإنسان على الأرض، وهو الذي لا يُخبر بجيله حسب الجسد. لأنه لن يوجد من يستطيع أن يعيَّن له أباً حسب الجسد، إذ أنَّ جسده لم يكن من رَجُل، بل من عذراء فقط] (تجسُّد الكلمة ٣٧:٣).

[أيُّ إنسان وُلد قط، واتخذ لنفسه جسداً من عذراء فقط؟ أو أيُّ إنسان شفى أمراضنا كنتلك التي شفاهها ربُّ الكلِّ؟ أو من ذا الذي ردَّ للإنسان ما كان ينقص طبيعته، وجعل الأعمى منذ ولادته يُبصر؟] (تجسُّد الكلمة ٤٩:١).

[إنَّ كان الله قد أرسل ابنه مولوداً من امرأة، فهذا الأمر لا يكون لنا سبب حجل، بل على العكس هو سبب فخر لنا مع نعمة فائقة ... وصار من نسل المرأة وولِد من عذراء لكي يحوِّل لنفسه جنسنا الضَّال<sup>(١)</sup>، ولكي نصير فيما بعد «جنساً مقدَّساً» (١ بطرس ٢: ٩)، بل وشركاء الطَّبيعة الإلهيَّة كما كتَب الطُّوباوي بطرس (٢ بطرس ١: ٤).<sup>(٦)</sup>

[إني أرى سرّاً عجبياً، أرى شمسَ البرِّ عَوْضاً عن الشَّمس الطَّبيعيَّة، أراه يحلُّ في العذراء دون أن يصير محدوداً! ولا تسألني: كيف؟ لأنَّ مهما أَراد الله، يَخضع له نظامُ الطَّبيعة، فلأنه أراد (أن يتجسَّد) استطاع ذلك، وجاء وخلَّصنا. أسرعوا معاً وتعالوا جميعاً، فإنَّ الله الكائن والأزلي الكيان، قد صار اليَوم ما لم يكن. فهو الكائن إلهاً، قد صار إنساناً دون أن يخرج من كونه إلهاً ... القديم الأيام قد صار طفلاً! الجالسُ على عرش العُلا، صار موضوعاً في مذود! غير المبتدئ وغير الجسدي، قَمَطته الأيدي البشريَّة؛ الذي يحلُّ رباطات الخطايا، قد صار ملفوفاً بنخرق، لأنه أراد ذلك!<sup>(٧)</sup> (عظة عن الميلاد).

يقول القدِّيس غريغوريوس النَّيسي:

[إنَّ ما تمَّ جسدياً في مريم الطَّاهرة حتى تجلَّى كلُّ ملء اللاهوت جسدياً في المسيح بواسطة بتوليتها، هذا أيضاً يتمُّ في كلِّ نفس تحفظ البتوليَّة الرُّوحية بحسب اللوغوس. غير أنَّ الرَّب لا يجعل حضوره بعد جسدياً، لأننا، كما يقول بولس «لا نعرف المسيح بعد حسب الجسد» (٢ كورنثوس ٥: ١٦)، ولكنَّه يسكن فينا روحياً، بل ويحضر أباه أيضاً معه كما يقول الإنجيل (يوحنا ١٤: ٢٣) [في البتوليَّة ٢: ٢].

٦- رسالة البابا أنثاسيوس الرُّسولي إلى أدلفيوس ٤: ٦٠ NPNF, 2<sup>nd</sup> Ser., vol. IV, p. 575-576

٧- عظة للبابا أنثاسيوس الرُّسولي عن الميلاد PG 28,960-961